الباب الرابع

الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة

بوصول الرسول ﷺ إلى المدينة بدأ عهد جديد تميز عن الفترة التي قضاها ﷺ بمكة.

وقد نزل رسول الله ﷺ علي كلثوم بن هدم[1] بقباء وفي بعض الروايات أنه نزل علي سعد بن خيثمة، وفي بعضها أنه نزل علي بن الهدم فإذا خرج من بيته جلس في بيت سعد بن خيثمة لأنه كان أعزب لا أهل له، وعنده نزل الأغراب من المهاجرين ونزل أبو بكر رضي الله عنه علي خبيب بن أساف أحد بني الحارث من الخزرج بالسنح، وقيل نزل علي خارجة بن زيد.

وأقام الرسول ﷺ بقباء في بني عمر وبني عوف أربعة أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس المسجد بقباء أما علي كرم الله وجهه فقد مكث بمكة ثلاثة أيام حتى أدى عن الرسول ﷺ الودائع التي كانت عنده ثم لحق بالرسول ونزل علي كلثوم بن الهدم وكانت معه أم أيمن وابنها وبعض النساء والمستضعفين.

وبعد مضي الأيام الأربعة خرج الرسول ﷺ فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي ويسمي وادي رانوناء فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة وصلي معه نحو مائة من المسلمين وسمي هذا المسجد بمسجد الجمعة وهو علي يمين السالك نحو قباء من المدينة.

وتيمنا بهذه الخطبة ننقلها كما هي وكما جاءت بتاريخ الطبري ونقلتها عنه مصادر عديدة:

(1) كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس ويعرف بصاحب رسول الله ﷺ وهو من الأوس وقد اسلم قبل وصول الرسول إلى المدينة وكان شيخا كبيرا واقام عنده أربعة أيام وتوفى رضي الله عنه قبل بدر ولم يحضر المشاهد: محمد رسول الله ص163.

«الحمد لله أحمده وأستعينه، واستغفره واستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا سريك له، وان محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدي والنور والموعظة علي فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوي وفرط – وضل ضلالا بعيداً، وأوصيكم بتقوىٰ الله فإنه خير ما أوصي به المسلم المسلم ثم أن يحضه علي الآخرة وان يأمره بتقوىٰ الله.

فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكر، وان تقوىٰ الله لمن عمل به ومخافة من ربه عون صدق علىٰ ما تبغون من أمر الآخرة.

ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلىٰ ما قدم، وما كان من سوىٰ ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيدا، ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد، والذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول ﷻ {ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد}[1].

فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيما، وان تقوىٰ الله يوقي مقته، ويوقي سخطه وان تقوىٰ الله يبيض الوجوه، ويرضي الرب، ويرفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله لكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده، وهو اجتباكم وسماكم المسلمين؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، ولا قوة إلا بالله.

فاكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد اليوم فإن من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي علي الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون فيه الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

(1) ق الآية 29.

هذه أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ، وليس فيها شيء عن مشركي مكة وعداوتهم للرسول فهو علي خلق عظيم – ولا يخفي ما بالخطبة من أمر بالتقوى والإخلاص في السر والعلانية، والاستعداد للجهاد، والتحذير من المعصية وبعد الفراغ من الصلاة أتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة في رجال من بني سالم بن عوف فقالوا يا رسول الله أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة قال: خلوا سبيلها فإنها مأمورة، وهو يمتطي ناقته القصواء –

عرض عليه من بني بياضة زياد بن لبيد وفروة بن عمر وفي رجال منهم الإقامة عندهم، كما عرض بنو ساعدة فعرض عليه الإقامة رجالهم ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمر وعرض عليه ذلك سعد بن الربيع وخارجة بن زيد من بني الحارث وعبد الله بن رواحه، وفي بني عدي بن النجار أخواله عرض عليه الإقامة سليط بن قيس وابو سليط وكلهم يعرضون عليه الإقامة في العدد والعدة والمنعة وهو يقول: خلوا سبيلها فإنها مأمورة .

وفي هذا دليل على إنهم جميعاً كانوا علي قلب رجل واحد يتمني كل واحد أن يحظي بشرف الإقامة عنده، وهو دليل صدق وإيمان ومؤازرة.

حتى بركت الناقة أمام دار بني مالك بن النجار مكان مسجده ﷺ وكان مربداً يجفف فيه التمر لغلامين يتيمين وهما: سهل وسهيل أبناء عمرو من بني النجار، فلما بركت لم ينزل عنها، ثم وثب فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها وأطلقه لا ثينيها به، فالتفتت خلفها، ثم رجعت إلى مبركها الأول فبركت فيه ووضعت جرانها[1] فنزل عنها رسول الله ﷺ.

واحتمل أبو أيوب الأنصاري[2] رحل ناقة الرسول ﷺ إلى بيته فأقام عنده حتى بني مسكنه ومسجده.

وقال الغلامان للرسول ﷺ نهبه لك يا رسول الله عندما اخبرهما انه يريد بناء مسجده في هذا المكان فرفض الرسول ﷺ، واشتراه منهما بعشرة دنانير ذهبا وبدأ في بناء المسجد. وكان الرسول ﷺ في مقدمتهم ومعه الجميع.

---

(1) جرانها: مقدم عنقها.

(2) أبو ايوب الأنصاري واسمة خالد بن زيد بن كليب بن مالك بن النجار الأنصاري شهد العقبه وبدر واحداً والخندق وسائر المشاهد وتوفى بالقسطنطينية سنة 51.

وصف المسجد ومكانه:

كان اسعد بن زراره ﷺ قد اتخذ المكان الذي بنى عليه المسجد مصلى للأنصار منذ دخولهم الإسلام قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة وكانت فيه بعض القبور والأشجار والنخيل فأمر الرسل ﷺ بإزالة الأشجار وتسوية أرضه بعد أن اشتراها من اليتيمين الذين كانا في كفالة اسعد بن زراره واسمهما سهل وسهيل ابني عمرو – ولم يقبل من معاذ بن عفراء أن يرضى اليتيمين ويهبه المكان وإنما أصر على أن يعطيهما الثمن كاملا وجعل قبلته إلى بيت المقدس وكان طوله مما يلي القبلة مائه ذراع وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه بقليل، وبنوه باللبن (الطوب).

وجعل عمده جذوع النخل وسقفه الجريد وقال: عريش كعريش موسى خشيبات وثمام:

نبت ضعيف قصير – الشأن أعجل من ذلك، أما أرضه فقد بقيت مفروشة بالرمال والحصباء واستمر بناؤه من ربيع الأول إلى صفر. وقد ظل المسجد على هذا الشكل دون أي زيادة أو تغيير مده خلافة أبي بكر ﷺ ، ثم زاد فيه عمر بعض التحسين، ولكنة أبقاه على هيئته السابقة، ثم زاد فيه عثمان ﷺ زيادة كبيرة وبنى جداره بالحجارة والجص[1].

وكانت بيوته التسعة ملاصقة للمسجد، ولما توفيت أزواجه خلطت البيوت والحجرات بالمسجد وذلك في زمن عبد الملك بن مروان من بنى أمية.

ومن العظات والعبر:

1- حسن تصرف الرسول ﷺ في انه لم يؤثر أحداً على أحد بشرف بقائه مع أي حي من الأحياء التي عرض عليه أهلها البقاء في العدد والعدة والمنعة حتى لا يجرح شعور أحد حين يتركه ويقيم عند غيره اللهم إلا أيام الضيافة القليلة التي بقيها عند كثلوم بن الهدم، وفي دار أبي أيوب في انتظار إتمام بناء المسجد والبيت.

(1) انظر طبقات ابن سعد ج2ص4 واعلام الساجد في احكام المساجد للزركشي ص223/ 224 والبخارى ج1 ص111.

2- كل شيء في حياة الرسول ﷺ بالوحي والأمر الإلهي فالناقة مأمورة حتى بركت في المكان المبارك الذي شرفه الله وأعلا قدره بأن جعله مكانا لثالث مسجد بعد المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

3- أهمية المساجد في حياة المسلمين فقد بدأ الرسول ﷺ ببناء المسجد، وهو على غير مهل كما يدل عليه قوله ﷺ: الشأن أعجل من ذلك.

4- جواز نبش القبور لبناء المساجد وتوسيعها.

5- العبرة بالتقوى والإخلاص في العمل لا بالمظهر الخارجي ولهذا استعمل الرسول ﷺ في بناء مسجده ما توفر لديه من مواد عادية.

6- أعطانا الرسول ﷺ درساً في التواضع فقد كان أول من يحمل الطوب مع صحابته ولو شاء لكفوه ذلك

7- أهمية العمل الجماعي، والتعاون على البر والتقوى.

8- الحرص علي اليتيم فلم يقبل هبة منهما كما لم يقبل من الكثيرين من الأنصار عرضهم التبرع بالأرض، ودفع ثمنها ليكون دفع الثمن أرضى لليتيمين، وقد شكر للأنصار استعدادهم للتبرع.

مظاهر التكريم وصدق الإيمان:

عندما نصر الله رسوله ﷺ بالهجرة أحاط به الأنصار مؤثرين حياته على حياتهم، وراحته على راحتهم، ولم يروا في يوم هم أشد فرحا من يوم وصوله إلى المدينة، وهم يسيرون وراءه بين ماش وراكب، يتنازعون زمام ناقته كل يريد أن يكون نزيله، وهو يقول لهم: دعوها فإنها مأمورة حتى بركت في المكان الذي أراد الله أن يكون منزله فنزل ﷺ وهو يقول: ها هنا المنزل إن شاء الله تعالى وهو يتلو قوله تعالى {رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين}[1].

(1) المؤمنون الآية 29.

وبلغ من إكرامهم الرسول ﷺ أن أبا أيوب كان في الدور العلوي من المسكن لأن الرسول اختار الدور الأسفل.

ليكون أريح لزائريه، ولكن أبا أيوب رضي الله عنه لم يكن راضياً عن ذلك إكراماً للرسول ﷺ لما يمكن أن يصيبه من التراب الذي يحدثه وطء الأقدام أو الماء الذي يهراق؛ لأن السقف كان بالجريد كما هو معروف وقتذاك.

واتفق إن كسرت من زوج أبي أيوب جرة ماء بالليل فقام هو وزوجه بقطيفتها التي ليس لهما غيرها يمسحان الماء ويجففانه خوفاً على رسول الله ﷺ. ولذلك لم يزل أبو أيوب الأنصاري يستعطف الرسول ﷺ ويلح عليه حتى كان في العلو.

وكانت تاتيه الجفان كل ليلة من الأنصار فما من ليلة إلا وعلى بابه الثلاث أو الأربع من جفان الثريد. وكان الصحابة يلتمسون مكان يده في الطعام ليتبركوا بها، ويأكلوا مما أكل وقد نزل الأنصار للمهاجرين عن أموالهم ودورهم؛ ليجد فيها المهاجرون عزاء عما فقدوا من مال وديار في مكة، وليعيشوا معهم ابعد ما يكونون عن الشعور بالغربة أو إنهم عالة على غير كاهل.

وقد مدح الله الأنصار على كرمهم وايثارهم فقال تعالى: {والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون}[1].

وفي أسباب نزولها أخرج ابن المنذر عن يزيد الأصم أن الأنصار قالوا: اقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين الأرض نصفين. قال: لا، ولكن تكفونهم المؤونة وتقاسمونهم التمرة، والأرض أرضكم. قالوا: رضينا فانزل الله: {والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا}.

واخرج البخاري عن أبي هريرة قال: أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد فأرسل الرسول إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال: الا رجل يضيفه هذه

(1) الحشر الآية 9.

الليلة يرحمه الله؟فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله. فذهب إلى أهله فقال لإمراته: ضيف رسول الله ﷺ فلا تدخر به شيئا.

قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالى فأطفئ السراج، ونطوي بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا علي رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله من فلان وفلانة فانزل الله تعالى {ويؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة}[1] .

ومع هذا فإن الرسول ﷺ أمر المهاجرين بالعمل والتجارة فتاجر عدد منهم بمعونة أبي بكر وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من أصحاب المال وقال: ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده ليغرس فيهم حب العمل فيعيشوا عيش الشرفاء بالعرق –وليجنبهم المسألة، وليخفف العبء عن الأنصار الكرماء.

هذا شيء من مظاهر التكريم.

أما صدق الإيمان فاكتفي بأن أورد عليه قصة طريفة ذكرها ابن هشام:

كان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقد قام في قباء ليلة أو ليلتين: يقول: كانت بقباء امرأة لا زوج لها وهي مسلمة فرأيت رجلا يأتيها في جوف الليل، فيضرب عليها بابها، فتخرج إليه فيعطيها شيئا معه فتأخذه، فاستربت شأنه، فقلت لها يا امة الله: من هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كل ليلة؟ فتخرجين عليه فيعطيك شيئا لا أدري ما هو؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك. فقالت: هذا سهل بن حنيف بن واهب أحد المسلمين قد عرف إني امرأة لا أحد لي، فإذا أمسي عدا علي أوثان قومه – وكانت من الخشب – فيكسرها ثم يأتيني بها، فيقول: احتطبي بهذا فكان علي يعرف لسهل ويحفظ له هذا الصنيع حتى توفي رضي الله عنه.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

طلب رسول الله من أصحابه مهاجرين وأنصارا أن يتآخوا في الله اخوين أخوين ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: هذا أخي.

(1) أسباب النزول ص416/ 417.

وآخى بين حمزه وزيد بن حارثة فصارا أخوين كما أخي بين جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وكان جعفر وقتها بالحبشة لا يزال مهاجراً بها، وآخى بين أبي بكر وخارجة بن زهير وبين عمر ابن الخطاب وعتبان بن مالك، وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، وبين الزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن رقش ويقال عبد الله بن مسعود[1] وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت وبين طلحة بن عبد الله وكعب بن مالك وبين سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأبي بن كعب – وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب بن خالد بن زيد وبين أبي حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر وبين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان ويقال ثابت بن قيس وبين أبي ذر والمنذر وبين عمر وبين حاطب بن أبي بلتعة وعويم بن ساعدة وبين سلمان الفارسي وأبي الدرداء عويمر ابن ثعلبة وبين بلال وأبي رويحة. ولم يذكر ابن هشام[2] بقية المهاجرين الذين آخي الرسول بينهم وبين الأنصار وهو لم يترك أحداً من المهاجرين ألا أخي بينه وبين رجل من الأنصار.

وكانت هذه المؤاخاة سببا في التورات حتى أنزل الله تعالى: {وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله}[3].

وفي سبب نزولها أخرج ابن سعد من طريق هشام بن عوف عن أبيه قال: أخي الرسول ﷺ بين الزبير بن العوام وبين كعب بن مالك، وقال الزبير لقد رأيت كعبا أصابته الجراحة، بأحد فقلت: لو مات فانقطع عن الدنيا وأهلها لورثته فنزلت هذه الآية[4].

ومن الحكم في هذه المؤاخاة:

1- تعميق شعور المحبة، ورفع الوحشة عن نفوس المهاجرين

2- تذكير المسلمين بأهم نعمة أمر الله عباده بتذكرها وشكرها في قوله تعالى: {واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا}[5].

(1) وعن هشام بن عروه أن الرسول آخى بين جده الزبير وكعب بن مالك.

(2) سيرة ابن هشام ج1 ص319

(3) الانفال من الآية 75.

(4) أسباب النزول ص228.

(5) آل عمران من الآية 103.

3- ليعلمنا الرسول ﷺ انه لا إيمان بلا محبة – ولا حياة لمجتمع لا يسوده الود، وان الحقد والكراهية والقطيعة أخطر الآفات التي تصيب المجتمع.

ولولا فضل الله بالإسلام الذي ألف به بين القلوب لما استطاع أحد أن يؤلف بينها ولو أنفق ما في الأرض جميعا.

4- يجب على المسلمين أن يقتدوا برسول الله ﷺ في بناء مجتمعاتهم على أسس متينة من الأخوة والتعاون والتكافل.

المعاهدات والمواثيق

كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود وعاهدهم، واقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم، فأنصفهم كما أنصف المسلمين.

وننقل هذا الكتاب الذي يعتبر دستورا يجب أن يسير عليه هذا المجتمع وتطبيق ما جاء به، وهذا نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس المهاجرون من قريش علي ربعتهم[1] يتعاقلون[2] بينهم وهم يفدون عانيهم[3] بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عوف علي ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

---

(1) ربعتهم: الحال التي جاء الإسلام وهم عليها.

(2) يتعاقلون: يدفعون ديات بعضهم ويتعاونون فيها.

(3) العانى: الاسير.

obeikandi.com

وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين

وبنو النبيت علي ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الأوس علي ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين

وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا[1] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

وألا يحالف مؤمن مولي مؤمن دونه، وان المؤمنين المتقين على من بغي منهم، أو ابتغي دسيعة [2] ظلم أو إثم أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعا، ولو كان ولد أحدهم.

ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن، وان ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وانه من تبعنا من اليهود فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وان سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم، وان كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا، وأن المؤمنين بينيء بعضهم علي بعض بما نال دماءهم سبيل الله، وان المؤمنين المتقين علي أحسن هدي وأقومه، وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه علي مؤمن، وانه من اعتطب[3] مؤمناً قتلا عن بينه فإنه قود به إلا أن يرضي ولي المقتول، وان المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه. وانه لا يحل لمؤمن اقر هذه الصحيفة، وآمن

(1) المفرح: المثقل بالدين والكثير العيال. قال الشاعر: إذا انت لم تبرح تؤدي امانة: . وتأخذ اخرى افرحتك الودائع.

(2) الدسيعة: العظيمه.

(3) اعتطبه: قتله بلاذنب.

بالله واليوم الأخر أن ينصر محدثاً[1] ولا يؤويه، وانه من نصره أو أواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل، وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله ﷻ والي محمد ﷺ.

وأن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

وأن يهود بني عوف امة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ[2] إلا نفسه وأهل بيته.

وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وان ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف وان ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وان ليهود بني جثم مثل ما ليهود بني عوف، وان ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف وان ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته، وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم وان لنبي الشطية مثل ما ليهود بني عوف، وان البر دون الإثم – وان موالي ثعلبة كأنفسهم، وأن بطانة[3] يهود كأنفسهم. وانه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ. وانه لا ينحجز علي ثار جرح، وانه من فتك بنفسه فتك، وأهل بيته إلا من ظلم وان الله علي ابر هذا.

وأن علي اليهود نفقتهم وعلي المسلمين نفقتهم، وانه بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وان بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفة، وان النصر للمظلوم، وان اليهود ينفقون[4] مع المؤمنين ما داموا محاربين.

وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وانه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله ﷻ، وإلي محمد رسول الله ﷺ، وأن الله علي اتقي ما في هذه

(1) المحدث: المبتدع.

(2) يوتغ: يهلك.

(3) البطانه: خاصة الرجل وأهل بيته.

(4) هكذا اثبت ابن هشام والعبارة غير واضحة المعني وإذا كان على اليهود جزية فليس هذا على المؤمنين وربما حدث خطأ في نقل العبارة من اصلها.

الصحيفة وأبره، وان لا تجار قريش ولا من نصرها، وان بينهم النصر علي من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه، فإنهم يصالحونه ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر، وان البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، إن الله على اصدق ما في هذه الصحيفة وأبره وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو آثم، وان الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله ﷺ [1]».

هكذا أقر الرسول ﷺ اليهود على دينهم ولم يكرههم على الإسلام وأعطاهم ما للمسلمين من الحقوق.

فهل التزموا بالعهد أو نقضوه؟

معاداة اليهود للرسول ﷺ:

روت صفية رضي الله عنها وقد صارت أماً للمؤمنين عداوة أبيها وعمها للرسول ﷺ فقالت: كنت أحب ولد أبي[2] إليه، وإلى عمي أبي ياسر لم القهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي وعمي مغلسين. أي مع ظلمة الفجر – فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس فأتيا كئيبين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلى واحد منهما مع ما بهما من الغم، وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي: أهو هو؟ أي المبشربه في التوراة قال: نعم والله. قال: أتعرفه وتثبته؟

قال: نعم قال فما في نفسك منه؟ قال عداوته والله ما بقيت أي سأظل عدواً له ما بقيت على قيد الحياة.

(1) سيرة ابن هشام ج1ص321

(2) أبوها: حيى بن أخطب.

وهذه شهادة أخرىٰ:

لما أسلم عبد الله بن سلام وكان من احبار اليهود وعلمائهم روىٰ قصة إسلامه فقال: لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته واسمه. وزمانه الذي كنا نتوكف له فكنت مسرا لذلك صامتاً عليه حتىٰ قدم الرسول ﷺ المدينة فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتىٰ اخبر بقدومه، وأنا في رأس نخلة فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبرت، فقالت لي عمتي حيث سمعت تكبيري: خيبك الله، والله لو كنت سمعت بموسىٰ بن عمران قادماً ما زدت، فقلت لها: أي عمة هو والله اخو موسىٰ بن عمران وعلىٰ دينه بعث ما بعث به، فقالت: أي ابن أخي أهو النبي الذي كنا نخبر انه يبعث مع نفس الساعة؟ فقلت لها: نعم فقالت فذاك إذا ثم خرجت إلىٰ رسول ﷺ فأسلمت. وكتمت إسلامي من اليهود.

ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله: إن يهود قوم بهت، واني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك، وتغيبني عنهم، ثم تسألهم عني، حتىٰ يخبروك كيف أنا فيهم، قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني، فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته، ودخلوا عليه فكلموه وساءلوه، ثم قال لهم: أي رجل الحصين بن سلام فيكم؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالمنا، فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم يا معشر يهود: اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون انه لرسول الله، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته فاني أشهد انه رسول الله ﷺ، وأومن به وأصدقه واعرفه، فقالوا: كذبت ثم وقعوا بي، فقلت لرسول الله ﷺ: ألم أخبرك يا رسول الله إنهم قوم بهت؟ أهل غدر وكذب وفجور، فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث وحسن إسلامها[1] كان اليهود في عمومهم علىٰ عداء للدعوة مكابرة وعناداً، وان كان في بعضهم خير وهدي. ومن هؤلاء أحد رجالهم وهو من أحبارهم ويسمىٰ مخيريق، وكان مقتنعا بصدق رسالة محمد إلا أنه ألف دينه فترة حتىٰ كان يوم أحد فقال لليهود: لنخرج للجهاد مع محمد فقالوا اليوم سبت ليتهربوا من الخروج فأخذ سلاحه وقال: لا سبت لكم، ولحق بالرسول فأعلن إسلامه وقاتل حتىٰ قتل وأوصىٰ قومه قبل خروجه بأنه أن مات فإن

(1) سيرة ابن هشام ج1ص329.

ماله لمحمد يصنع فيه ما يشاء، فقال الرسول ﷺ مخيريق خير يهود وقبض ماله فكانت أغلب الصدقات في المدينة من هذا المال الذي تركه صاحبه وقفا علي الإسلام والمسلمين.

وقد أحسن بن سلام صنعاً بما فعل من كتمان إسلامه واختبائه عنهم، وقد شهدوا فيه شهادة حسنه كان مقتضاها أن يسلموا كما اسلم ولكنه العناد

واخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال في عبد الله بن سلام نزلت {وشهد شاهد من بني إسرائيل علي مثله}[1] واخرج ابن جرير عن عبد الله بن سلام قال: في نزلت. ومن اليهود من رفض الإسلام ومنهم من أسلم نفاقاً فاظهر الإسلام وأبطن الكفر، وانضم إليهم من لم يدخل الإسلام من العرب في المدينة.

وممن اسلم من اليهود نفاقاً: سعد بن حنيف، وزيد بن اللصيت، ونعمان بن أوفي وعثمان بن أوفي من بني قينقاع وزيد بن اللصيت هو الذي قاتل عمر بن الخطاب في سوق بني قينقاع وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ يزعم محمد انه يأتيه خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته.

فقال رسول الله ﷺ عندما جاءه الخبر «إن قائلا قال: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدري أين ناقته، واني والله لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها».. فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله ﷺ وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين فرآهم الرسول ﷺ يسخرون ويستهزؤن بدين المسلمين فأمر المسلمين بطردهم من المسجد.

القرآن الكريم يكشف المنافقين:

أول سورة نزلت بالمدينة سورة البقرة[2] وعدد السور التي نزلت بالمدينة عشرون سورة، أولها سورة البقرة وتقول بعض المصادر نزلت في المنافقين المائة الأولى من هذه السورة. وفي

(1) الاحقاف من الآية 10وأسباب النزول ص379.

(2) الانقان ج1ص11

لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي اخرج الفريابي وابن جرير عن مجاهد قال: أربع آيات من أول البقرة نزلت في المؤمنين وآيتان في الكفار وثلاث عشرة آية في المنافقين[1].

وربما كان المقصود من قول مجاهد أن ثلاث عشر آية متتابعة أي إلى نهاية الآية رقم تسعة عشرة، لأن آيات كثيرة بعد الآية التاسعة عشرة نزلت في المنافقين ومنها الآية رقم 76 من هذه السورة وهي قوله تعالى {وإذا لقوا اللذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون}.

وفي سبب نزولها أخرج عبد الله بن جرير عن مجاهد قال: قام رسول الله ﷺ يوم قريظة تحت حصونهم فقال: يا إخوان القردة ويا إخوان الخنازير ويا عبدة الطاغوت فقالوا من اخبر بهذا محمداً؟ ما خرج هذا إلا منكم، - أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم حجة عليكم؟ فنزلت الآية.

واخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا إن صاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة «وإذا خلا بعضهم إلى بعض» قالوا: أيحدث العرب بهذا؟ فإنكم كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم.

فانزل الله: وإذا لقوا.

واخرج عن السدي قال: نزلت في ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا، وكانوا يؤتون المؤمنين من العرب بما تحدثوا به فقال بعضهم: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليقولوا نحن أحب إلى الله منكم، وأكرم على الله منكم[2].

وفي سبب نزول قوله تعالى {وإذا لقوا اللذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن}[3].

أخرج الواحدي والثعالبي من طريق محمد بن مروان والسدي الصغير عن الكلبي عن

(1) ص1.
(2) المصدر نفسه ص14.
(3) البقرة الآية 14.

أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه، وذلك إنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن أبي انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء فذهب فاخذ بيد أبي بكر فقال: مرحباً بالصديق سيد بني تميم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيد بني عدي بن كعب الفاروق في دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد بيد علي فقال: مرحباً بابن عم رسول الله وختنه[1] سيد بني هاشم ما خلا رسول الله. ثم افترقوا فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت، فاثنوا عليه خيرا، فرجع المسلمون إلى النبي ﷺ واخبروه بذلك فنزلت هذه الآية[2].

ويقول الإمام السيوطي هذا الإسناد واه جداً فإن السدي الصغير كذاب وكذا الكلبي، وابوا صالح ضعيف. ولكن طعن السيوطي في السند إنما يتعلق بصحة نزول الآية في عبد الله بن أبي وصحبه الذين معه، ومهما كان السبب فالعبرة بعموم اللفظ، فالآية في المنافقين بصرف النظر عن الأسماء فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ومن بلاغة القرآن في هذه الآية، إنهم ثابتون علي الكفر، فالتقاؤهم بالمؤمنين اقل من اختلائهم لشياطينهم الذين يخبرونهم إنهم ثابتون معهم ومستهزؤون بالمؤمنين.

وقد جاء في إعراب القرآن الكريم وبيانه ما يلي:

الفارقة بين الجمل: فقد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وهي جملة آمنا وخاطبوا شياطينهم بالجملة الاسمية وهي جملة إنا معكم، وذلك إن الجملة الاسمية اثبت من الجملة الفعلية، فإيمانهم قصير المدى لا يعدو تحريك اللسان، أو مدة التقائهم بالمؤمنين، وركونهم إلى شياطينهم دائم الاستمرار، والتجدد وهو اعلق بنفوسهم، وأكثر ارتباطاً بما رسخ فيها[3].

---

(1) ختنه: صهره.

(2) أسباب النزول ص3. وكان عبد الله بن أبي سيتوج ملكا على اليهود فلما جاءالرسول ﷺ ضاعت الفرصة فحقد عل الرسول لذلكواظهر إسلامه نفاقا.

(3) ج1ص39 محي الدين الدرويش.

لما ظهر النفاق بالمدينة ؟

السبب الأول: أن المسلمين في مكة كانوا قلة فلم تكن لهم صولة حتى يتوارى أحد عنهم ويتستر وينافق، أما في المدينة فهم كثرة وقوة.

أما **السبب الثاني** فإن اليهود ليسوا مثل العرب فهم جبناء كما وصفهم الله تعالى، والنفاق جبن، فمن لا يستطيع أن يجاهر بما يسر فهو المنافق، وهو اخطر من الكافر. لأن الكافر عدو ظاهر، أما المنافق فعدو خفي تحسبه معك وهو عليك.

ولكن القرآن كشف نفاقهم وسرائرهم ولا يخفي على الله شيء.

تحويل القبلة:

إن رسول الله ﷺ قد صلى إلى بيت المقدس بعد أن هاجر إلى المدينة مدة استمرت ستة عشر شهراً في النصف من شعبان[1] .

وأخرج بن جرير وابن حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها بضعة عشر شهراً وكان يحب قبلة إبراهيم، وكان يدعو الله وينظر إلى السماء فانزل الله فولوا وجوهكم شطره فارتاب في ذلك اليهود وقالوا {ما ولا هم عن قبلتهم التي كانوا عليها} فانزل الله {قل لله المشرق والمغرب} وقال {فأينما تولوا فثم وجه الله} وقال السيوطي إسناده قوي[2].

وفي سبب نزول: {سيقول السفهاء من الناس} قال ابن إسحاق حدثني إسماعيل بن أبي خالد عن أبي اسحاق عن البراء قال: كان رسول الله ﷺ يصلى نحو بيت المقدس ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله، فانزل الله {قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنوليئك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام} فقال رجال من المسلمين: وددنا لو علمنا علم من

(1) محمد رسول الله ص183.

(2) أسباب النزول ص35.

مات قبل أن نصرف إلى القبلة، وكيف بصلاتنا قبل بيت المقدس فانزل الله {وما كان الله ليضيع إيمانكم} وقال السفهاء من الناس «ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها» فانزل الله {سيقول السفهاء من الناس} إلى آخر الآية.

وله طرق بنحوه وفي الصحيحين عن البراء: مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا، فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله: {وما كان الله ليضيع إيمانكم} واخرج ابن جرير عن طريق السدي باسانيده قال: لما صرف النبي ﷺ نحو الكعبة بعد صلاته إلى بيت المقدس، قال المشركون من أهل مكة: تحير علي محمد، فتوجه بقبلته إليكم، وعلم أنكم أهدى منه سبيلا، ويوشك أن يدخل في دينكم فانزل الله: {لئلا يكون للناس عليكم حجة}[1].

ويقال ﷺ ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين ثم أمر أن يتوجه إلى المسجد الحرام فاستدار إليه ودار معه المسلمون، وقال: زار رسول الله ﷺ أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة فصنعت له طعاما، وحانت الظهر فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين، ثم أمر أن يتوجه بأصحابه إلى الكعبة، فاستدار إليها واستقبل الميزاب فسمي المسجد مسجد القبلتين وذلك يوم الاثنين للنصف من رجب علي رأس ثمانية عشر شهراً[2] ولا يزال هذا المسجد موجودا يزوره الحجاج ضمن المعالم التي يزورونها.

وقد أقام الله الحجة على أهل الكتاب في صلاة الرسول ﷺ إلى بيت المقدس وأكرم الله رسوله باستجابة دعوته في أن تكون قبلته المسجد الحرام، وتسلية الله لرسوله بأن أخبره بما يقوله السفهاء عند تغيير القبلة قبل أن يصرف عنها.

فرض الصيام والزكاة:

فرض الله الصيام في شعبان عند تحويل القبلة، وصادف الشهر شدة الحر فسموه رمضان

(1) المرجع نفسهص46.

(2) راجع: طبقات بن سعد ومحمدرسول الله. وهذا المسجد معروف ويزوره الحجاج ضمن المعالم المشهوره بالمدينة المنورة ويسمى جامع القبلتين.

من الرمض أي الحر، وفرضت الزكاة كذلك في السنة الثانية من الهجرة. وبذلك بدا المسلمون يصومون رمضان ويؤدون الزكاة المفروضة.

الوحي بألفاظ الأذان:

قال ابن إسحاق: لما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين، واجتمع أمر الأنصار، استحكم أمر الإسلام فقامت الصلاة، وفرضت الزكاة والصيام. وقامت الحدود، وفرض الحلال والحرام، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم، وكان هذا الحي من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان.

وقد كان رسول الله ﷺ حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة، ففكر الرسول ﷺ أن يحمل بوقاً كبوق اليهود الذي يدعون به لصلاتهم ثم كره، ثم أمر الناس بالناقوس ليضرب به للمصلين للصلاة.

فبينما هم علي ذلك إذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة اخو الحارث بن الخزرج النداء فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إنه طاف بي هذه الليلة طائف، مر بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده، فقلت له يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ قلت ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك علي خير من ذلك؟ قلت: وما هو؟ قال: تقول الله أكبر الله أكبر اشهد أن لا اله إلا الله، اشهد أن محمداً رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح الله أكبر الله اكبر لا إله إلا الله[1] .

فلما اخبر بها رسول الله ﷺ قال إنها لرؤيا حق إن شاء الله فقم مع بلال فالقها عليه، فليؤذن بها فإنه اندى صوتا منك.

فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يجر رداءه، ويقول: يا نبي الله، والذي بعثك بالحق، لقد رأيت مثل الذي رأى فقال رسول الله ﷺ: فلله الحمد على ذلك.

(1) كل الالفاظ مرتين. وقال الرسول ﷺ شفعوا الآذان واوتروا الإقامة.

وفي رواية أخرى عن ابن جريج عن عطاء قال: سمعت عبيد بن عمر الليثي يقول: ائتمر النبي ﷺ بالناقوس للاجتماع للصلاة فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأى في المنام لا تجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة، فذهب عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ ليخبره بالذي رأى، وقد جاء النبي ﷺ الوحي بذلك فما راع عمر إلا بلال يؤذن فقال رسول الله ﷺ حين اخبره بذلك: قد سبقك بذلك الوحي[1].

ويؤخذ من هذا:

1- الرؤيا الصادقة حق.

2- يجب أن يكون المؤذن ندي الصوت ليسمع الناس وإن بعدوا وكل شيء بالوحي الإلهي. فقد جنب الله عباده المسلمين تقليد اليهود والنصارى وكفاهم ذلك بألفاظ التوحيد ففي الأذان الشهادتان وهما عماد الدين وركن الإسلام الأول.

3- رفع منزلة الرسول ﷺ حيث قرن الله تعالى اسمه باسمه سبحانه في النداء لكل صلاة علي مدى الأيام والليالي وصدق حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ حيث يقول:

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه : : إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له مـــن اسمه ليجلــه : : فذو العرش محمود وهذا محمد[2]

4- في الآذان ترغيم للشيطان، وإظهار لانتصار الإسلام وإعلان صدق الرسالة، ودليل علي أن الدار دار إسلام

الإذن بالقتال:

أذن لرسول الله ﷺ في القتال لاثني عشر يوماً خلت من شهر صفر في السنة الثانية من الهجرة.

(1) سيرة ابن هشام ج1ص323

(2) ديوان حسان ثابت ص47 دار بيروت للطباعة والونشر.

وقد مكث الرسول ﷺ في قريش ثلاث عشرة سنة يدعو قريشا إلى نبذ الأصنام والشرك بغير قتال صابراً علي شدة أذاهم، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يأتون بين مضروب ومشجوج فيقول لهم: اصبروا فاني لم أوذن بقتالهم وقال جماعة من الصحابة منهم: عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الأسود وقدامه بن مضعون، وسعد بن أبي وقاص: يا سول الله: كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة فأذن لنا في قتالهم. فقال: كفوا أيديكم عنهم فإني لم أمر بقتالهم[1] وقد كان ممن سبق إلى الإسلام رجال عرفوا بالشجاعة وعلى رأسهم علي وعمر وحمزه وأبو عبيدة عامر بن الجراح وغيرهم كثير. وقد ظهرت هذه الشجاعة على حقيقتها في الغزوات والسرايا كما ظهرت يوم لطم حمزه أبا جهل قائلا: ردها علي أن استطعت.

ولما كثر اتباع الإسلام في المدينة أذن الله بالقتال في قوله تعالى {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير}[2].

ويقول القرطبي في تفسير قوله تعالى: {إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور}[3]. روى أنها نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بمكة وآذاهم الكفار وهاجر من هاجر إلى ارض الحبشة، أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار، ويغتال ويغدر ويحتال فنزلت هذه الآية ويقول في الآية التي بعدها أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا: هذا بيان قوله أن الله يدافع عن الذين امنوا أي يدفع عنهم غوائل الكفار بأن يبيح لهم القتال وينصرهم، وفيه إضمار، أي أذن للذين يصلحون للقتال في القتال، فحذف لدلالة الكلام علي المحذوف، وقال الضحاك: استاذن أصحاب رسول الله ﷺ في قتال الكفار إذا آذوهم بمكة فانزل الله {إن الله لا يحب كل خوان كفور} فلما هاجر نزلت {أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا} وهذا ناسخ لكل ما في القرآن من إعراض وترك وصفح وهى أول آية نزلت في القتال[4].

(1) محمد رسول الله ص196
(2) الحج الآية 39.
(3) الحج الآية 38 .
(4) ج12 ص68.

ملامح فترة ما قبل الجهاد والغزوات:

ميزت الفترة التي قضاها الرسول ﷺ بالمدينة قبل الإذن بالقتال ودخول مرحلة الغزو والدفاع عن الدين بما يلي:

1- بناء المساجد كمسجد قباء الذي قال الله فيه {لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يطهروا والله يحب المطهرين}[1] ومسجده ﷺ.

2- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والقضاء على العداوة والحروب والثارات التي كانت بين الأوس والخزرج.

3- المعاهدة التي ضمنت حقوق المسلمين واليهود في كرم وسماحة.

4- كشف المنافقين بما انزل الله فيهم من القرآن الكريم.

5- فريضته الصيام والزكاة وتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام.

6- الإذن بالقتال، وتكفل الله سبحانه وتعالى بنصر المؤمنين لأنهم مظلومون وان الله على نصرهم لقدير.

7- إسلام الكثير من الأنصار بعد وصول الرسول ﷺ إلى المدينة.

8- إسلام بعض اليهود وأحبارهم، وعلى رأسهم عبد الله بن سلام الذي آمن بصدق؛ ليقينه بأن محمداً هو الرسول الذي بشرت به التوراة، وكذلك إسلام مخيريق الذي هو من أحبار اليهود وأنزل الله فيهم {ليسوا سواء من أهل الكتاب الآية}[2] وقد وقف كل ماله في مصلحة الإسلام.

9- ظهور عداوة أكثر اليهود، ونفاق بعض من أسلم منهم مثل عبد الله بن أبي.

10- إبطال الفتن وإحباطها وقد دأب اليهود علي إيقاظ الفتن بين الأوس والخزرج، وتذكيرهم

---

(1) التوبة الآية 108.

(2) آل عمران الآيه113 وأسباب النزول 108. وعندما اسلم عبد الله بن سلام ومعه بعض اليهود قال أهل الكفر منهم ما آمن بمحمد الا شرارنا ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم فنزل قوله تعالى {ليسواء من أهل الكتاب امه قائمه يتلون آيات الله آناء الليل وهم ساجدون}.

بما كان بينهم من حروب وثارات قديمة، حتى كادوا يتقاتلون، فأصلح بينهم رسول الله ﷺ ووعظهم وحذرهم مكر اليهود ونزل قول الله تعالى {يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلي عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم يا أيها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم علي شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون}[1].

(1) آل عمران الآية 100/ 103 وأسباب النزول ص106/ 107.

obeikandl.com